

أشرف عثمان محمد الحسن | Ashraf Osman Mohammed Elhassan *

الحقل الشبابي في السودان وإعادة تشكيل المجال العام: بحث في ديناميات الفعل الجمعي ورهانات الحضور العمومي

Youth in Sudan and the Reformation of the Public Sphere: A Study of the Dynamics of Social Action and the Potentialities for Public Involvement

” تحاول الدراسة تتبع الرهانات التي يطرحها الفعل الشبابي غير الاحتجاجي، من جهة أن الإمساك بتلك الرهانات ربما يتيح فرصاً أفضل لدراسة الحقل الشبابي في السودان وتحليل توتراته الداخلية، بما يمهّد للاقتراب من السؤال عمّا إذا كنا نرى تغييرات في آليات اشتغال الحقل، وإن كان هذا التغيير يَعمدُ بإعادة بناء المجال العام. وتطبق الدراسة على بعض المبادرات المدنية في السودان، وتركز الفرضية على أن السلطة بإضعافها/ تأميمها المجتمع المدني، بمعناه المؤسساتي، وبتقليصها الدولة إلى مستوى أجهزة القمع فيها، كانت توفر الشرط الملائم لدفع كتلة شبابية كبيرة صوب البحث عن أشكال أخرى تصلح أداة للفعل الجمعي المستقل، بدأ من خلالها الشباب في اجترام شكل جديد للمقاومة، لا من خلال حملات نضالية ميسية، بل عبر تجذير حضورهم ضمن المجال العام.

كلمات مفتاحية: السودان، الشباب، شارع الحوادث، الحركات الاجتماعية، المجال العام.

This study attempts to understand the impact of non-protest youth action, specifically by focusing on the some civic initiatives. The author is convinced that the motives of the Sudanese youth behind this initiative would allow an analysis of their internal tensions, allowing researchers to ask whether or not we are facing a shift in how action is taken in the youth field, and whether such a change will alter the public sphere. The hypothesis which this study seeks to test is whether the Sudanese state's moves to appropriate civil society in the country, and to reduce the state apparatus to its bare bones oppressive machinery has driven a critical mass of Sudanese youth to create their own space and their own mechanisms from which collective action can be taken in future.

Keywords: Sudan, Youth, Social movements, The public sphere.

* أستاذ العلوم السياسية، كلية العلاقات الدولية والدراسات الدبلوماسية، الجامعة الوطنية، الخرطوم.

* Professor of Political Science, Faculty of International Relations and Diplomatic Studies, National University, Khartoum.

أي حضور ضمن المجال العام، وتنتظر إليه ككرة ثلج يجب الحرص على منع تدرجها، فإن الورقة لا يمكنها إلا أن تموضع تلك التغيرات الحادثة في الحقل الشبابي داخل دائرة السياسة، بما هو، أي الفعل الجمعي للشباب منازعة للسلطة في مصادرها التقليدية لشرعنة نفسها. صحيح أنه ليس ضد السلطة، حتى الآن على الأقل، ولكنه خارج شبكاتها، وهو لفت للانتباه إلى مظالم اجتماعية أو اختلالات في البنى الحكومية. وما أنه - وهو الأهم والأكثر جذرية - فعل يعد بالقطع مع قواعد اللعبة الاجتماعية والسياسية وأسسها، فاختيار بائعة شاي لافتتاح غرفة العناية المكثفة في تأويل الورقة فعل ثوري ترجم تحدياً، وربما تمرّداً، على النظام بمعناه الأعم، ليس السياسي فقط، بل الثقافي والقيمي. وهو فعل يخلخل "الأجهزة الأيديولوجية للدولة"، أو هو بعبارة أخرى ثورة ضد النسق وتحطيم تلك التراتبية التي ظل "السياسي" خلالها يعيد إنتاج ذاته. صحيح أن تلك المجموعات تتحرك راهناً ضمن وعي سياسي غامض؛ لأنها، باستعارة بيير بورديو، لم تجد خطابها بعد، لكنها ربما تعيد تعريف السياسة، على نحو ما يقترح أكاديمي سوداني (عطا البطحاني)⁽²⁾، بسبب ذلك الغموض وحالة الـ "لا انخراط" المباشر تلك بالذات.

إذا كان مسار تلك المجموعات متنوعاً تختلف هواجسه وقضاياه من تجربة إلى أخرى، فإن ثمة قاسماً مشتركاً ترجو الورقة أن يكون اشتغالها بمبادرة "شارع الحوادث" كافياً لإبرازه. كما تأمل أن يوفر الإمساك بذلك الرهان المشترك مدخلاً لدراسة الحقل الشبابي في السودان، والقيام بتحليل دينامياته وتوتراته، بما يهدد للاقتراب من سؤال إن كنا إزاء تغيرات في آليات اشتغال الحقل، وتفهم، بالمعنى الفيبري للكلمة، إن كان ذلك التغيير بفرض حصوله يعيد بناء الفضاء العمومي، ذلك الذي يرسم حدود التقاطع بين المجتمع والدولة بالكيفية التي تكبح سحق الثانية للأول، وفي الوقت ذاته يعيد ترميم ما بقي من الثانية. لسنا إذًا بصدد قراءة شاملة في حصيلة ذلك الفعل ونتائجه، فغاية ما تأمل الورقة إنجازها هو الإمساك بخيوط مفتاحية للتفكير في الموضوع.

2 يرى عطا البطحاني أن المجال يبدو مفتوحاً للشباب لإعادة تعريف السياسة "تعرّيقاً مفتوحاً على المستقبل وليس منكمّفاً على الماضي... يفكك أزمة الحاضر المستعصي على التغيير ويفك شفرتة. وهو تعريف يحفز على الفعل الخلاق، وهو ما سيكون بالنتيجة نافعاً ومصادماً للمفهوم السائد حالياً للسياسة، وهو مفهوم حوّل العلاقة التعاقدية بين الحاكم والمحكوم إلى علاقة رعوية بدلاً من علاقة مواطنة، بحيث أصبحت السياسة ساحة لاقتناص الغنائم والكسب الربحي دون محاسبة". انظر: عطا البطحاني، "إعادة تعريف السياسة: ما بين جمعية اللواء الأبيض ومجموعة شباب شارع الحوادث"، موقع حريات السودان، 2015/7/29، شوهد في 2018/3/18، في: <http://www.hurriyatsudan.com/?p=184904>؛ وانظر أيضاً: خالد التجاني النور، "مبادرات شبابية تعيد تعريف السياسة"، موقع النيلين، 2015/5/26، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/UP1MJ3>

لا شيء أكثر حرية ولا أكثر إكراهاً في الآن ذاته من فعل اللاعب الجيد؛ فهو يوجد طبيعياً في المكان الذي ستسقط فيه الكرة. بيير بورديو توجد حالات حيث يقوم الوالدان بترك أطفالهما والاختفاء؛ لأنهما ببساطة لا يملكان المال. كانت تلك هي اللحظة التي أدركنا فيها أن الأطفال لا يحتاجون إلى ترفيه وتسلية، وإنما يحتاجون إلى أدوية. مجاهد محمد الحاج، من مؤسسي "شارع الحوادث"

في سؤال الافتتاح

في صبيحة 16 أيار/ مايو عام 2015، تقدمت سيدة سودانية، بائعة الشاي "أم قسمة"، وهي النازحة من جنوب كردفان، لتقص الشريط إيذاناً بافتتاح غرفة للعناية المكثفة في أحد مستشفيات الأطفال العمومية في أم درمان. غرفة العناية المكثفة تلك كانت مشروعاً لمجموعة شبابية ظلت تنشط منذ عام 2012 في مساعدة الأطفال، ممن لم يعد ذووهم قادرين على تحمّل تكلفة العلاج، في سياق بدأت الدولة فيه تغسل يديها من تقديم تلك الخدمات مجاناً، وبات ممكناً خلاله معاينة الخصخصة وهي تلتهم تدريجياً قطاعاً صحياً كان مملوكاً للعامة.

تضم تلك المبادرة التي فازت بجائزة أبطال حقوق الإنسان المقدمة من الاتحاد الأوروبي عام 2016، أكثر من ألفي متطوع ينشطون في الخرطوم بمدنها الثلاث وثمانية عشرة مدينة أخرى⁽¹⁾. لم تكن تلك هي المبادرة الوحيدة التي أنتجها الحقل الشبابي في السودان خلال الأعوام الأخيرة، فقد سبقها انتشاراً مبادرة "نفير"، التي كانت قد نشطت في مساعدة المتأثرين بالسيول والأمطار أثناء خريف عام 2013، قبل أن تتم تصفيتها وتُنزع قدرتها التوليدية من قبل السلطة التي عدّتها توظيفاً لقضايا إنسانية من أجل السياسة. كما واكبتها مبادرات أخرى كـ "صدقات" و"عديل المدارس"، و"تعليم بلا حدود"، و"وصول"، و"مجددون"، و"صرير الصي"، وغيرها. ظلت إحدى السمات الملازمة لذلك الفعل الشبابي هي عدم انخراطه مباشرة في المجال السياسي، فقد ظل المنخرطون في تلك المبادرات يناون بحراكمهم الذي جرى تعميده إنسانياً عن تجاذب سياسي أضحى مزمناً، ويشددون على استقلالية حراكمهم وحماية مكتسباته من التوظيف السياسي من هذا الفريق أو ذاك.

على الرغم من ذلك الخطاب العلني للشباب الذي يفسره بعض المحللين أنه نتاج لشرط سياسي ظلت فيه السلطة تشتهب مسبقاً في

1 تنشط المبادرة، إضافة إلى الخرطوم العاصمة، في مدن: عطبرة، وبورتسودان، وسنار، والقضارف، والمنال، وكسلا، وشندي، والدامر، والنيل الأزرق، الأبيض، وكوستي، والحاج عبد الله، ومدني، والحصاحيصا، ودنقلا، والفاشر، وبربر.

السؤال الذي تواجهه الورقة الآن هو سؤال فهم تلك الحملات، أي تعيينها ضمن سجل بحثي ملائم. هل كانت الأطر التحليلية التي يزودنا بها مصطلح "الحركات الاجتماعية" قادرة على تتبع الديناميات، والإمساك بالرهانات الكامنة وراء الظهور العمومي غير التنازعي للشباب؟ أم ستكون في حاجة إلى مسارات نظرية بديلة لفهم الحراك غير النضالي؟ تقود محاولة تفحص نظرية "الحركة الاجتماعية" إلى النظر بإمعان صوب أعمال آلان تورين، مصدر انتشار مصطلح "حركات اجتماعية جديدة". بالنسبة إلى تورين وآخرين، فإن الحركات الاجتماعية هي فئة خاصة جداً ضمن مجموعة واسعة من أعمال المطالبة، هذه الحركات تتحدد بإعادة الحصول على حقوق تكون في حالة الحركات الاجتماعية الجديدة، مع تنوعها الشديد، حقوقاً ثقافية⁽⁴⁾. الحركة الاجتماعية في تحديد تورين، وانسجاماً مع خطوط التفكير التي دشنها في نهاية الستينيات، هي فعل جماعي تنازعي تتميز الجديدة منها بفعلها الجمعي خارج الفضاء الاقتصادي. الحركات الجديدة لم تعد تناضل من أجل استرجاع الهيكل المادي للإنتاج، بل تناضل من أجل إعادة امتلاك الفضاء والروابط ضمن الوجود اليومي الفردي⁽⁵⁾. ما يبقى ثابتاً أن "الحركة الاجتماعية كائناً ما كان شكلها وقوتها تتحدد على أنها فاعلة نزاع، تعمل مع فاعلين آخرين منظمين بهدف الاستخدام الاجتماعي للموارد الثقافية والمادية التي يوليتها كلا الفريقين المتنازعين أهمية مركزية"⁽⁶⁾.

البعد التنازعي/ المطلبي بوصفه محددًا فارقًا للحركة الاجتماعية يمكن ملاحظته لدى تشارلز تلي، عندما يقرر أن "هذا المركب السياسي جمع بين ثلاثة عناصر، حملات من المطالب الجماعية على السلطات المستهدفة وعدد من تحركات رفع المطالب... تمثيل عام لصفات الجدارة والوحدة والزخم العددي والالتزام فيما يتعلق بالقضية، وإنني لأدعو ذلك المركب الخاص تاريخياً حركة اجتماعية"⁽⁷⁾. أنتوني غدنز من ناحيته، كان قد ركز على الخطاب المستهدف للتغيير كسمة لازمة للحركة الاجتماعية التي تنشأ "بغرض تحقيق التغيير حول قضية عامة مثل التوسع في الحقوق المدنية لإحدى شرائح السكان. وقد تبرز هذه الحركات والحركات المضادة في عدة مجالات من بينها الحركات الدينية وإباحة الإجهاض وإعلان الإضراب العام وغيرها"⁽⁸⁾.

4 آلان تورين، برادغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011)، ص 257.

5 دديه لصاوت وحميده حمومي، "نظرية الحركات الاجتماعية: هياكل وأفعال وتنظيمات: تحليل الاحتجاج الاستشراقي"، إنسانيات، العدد 8 (1999)، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/UxaHni>

6 تورين، ص 258.

7 تشارلز تلي، الحركات الاجتماعية 1768-2004، ترجمة ربيع وهبة، المشروع القومي للترجمة (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص 44.

8 أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص 487.

يركز افتراض الورقة الذي تسعى لمناقشة حدود صحته على أن السلطة بإضعافها المجتمع المدني بمعناه المؤسسي أو تأميمه، وبتقليلها الدولة إلى مستوى أجهزة القمع فيها، كانت توفر الشرط الملائم لدفع كتلة شبابية كبيرة صوب البحث عن أشكال أخرى تصلح أداة للفعل المستقل. غياب المجتمع المدني المأسس سيفسح المجال أمام أشكال جديدة من الحراك المجتمعي. وسيتكفل إحباط ناتج من انتقال سوداني مجهض - مع القمع الذي تعرضت له انتفاضة الشباب في أيلول/ سبتمبر 2013⁽³⁾ - وربيع عربي استحال حروباً هوبزية، بدفعه بعيداً عن السياسي بمعناه المباشر. شهد ما بعد أيلول/ سبتمبر 2013، في افتراض الورقة، تحولاً في الحقل الشبابي نزع معه الحراك الشبابي عن ذاته نهجه الاحتجاجي، وتسارع تحول الشباب عن حركات اجتماعية جسدتها "قرفنا" كشكل للحركة الاحتجاجية بمعناها القصوي إلى "لا حركات اجتماعية"، بدأ الشباب خلالها اجترار شكل جديد للمقاومة، لا من خلال حملات نضالية وإنما من خلال تجذير حضورهم ضمن المجال العام.

مدخل نظري

حظيت الحركات الشبابية باعتراف كبير في الدرس السوسولوجي منذ انتفاضة الطلاب في أيار/ مايو 1968، تضاعف ضمن السوسولوجيا السياسية، لتكف منذ ذلك الحين موضوعة الشباب عن كونها موضوعة ثانوية يمكن لها الاندراج ضمن مبحث سوسولوجي أعم. وعلى المستوى العربي، تكاثف الاشتغال بدراسات الحقل الشبابي منذ عام 2011، حيث تعرض الحقل للدراسة من طرف عدد من الباحثين. هذه الموجة من النشاط البحثي التي تعثر على مبرراتها في موضوع الحركات الشبابية في موقع القلب من التحولات الحادثة في المنطقة، منذ ذلك التاريخ، اقتصر في غالب تجلياتها على تحليل أشكال الفعل السياسي بمعناه المباشر. إذا كانت الورقة تشاطر تلك الكتابات اقتناعها بالأهمية الفارقة لدراسة تلك الحركات، فإنها ترى أن التركيز التحليلي شبه الحصري على حركات منازعة السلطة ليس من شأنه أن يمنحنا القدرة دائماً على فهم الرهانات وتتبع الديناميات المتضمنة في الشباب كحقل. التركيز على الحركات ذات النضالات التنازعية دفع صوب إهمال منتج آخر من منتجات الحقل الشبابي المتحول بوتائر سريعة، وهي الرهانات التي طرحتها - ولا تزال تطرحها - حملات تبدو غير ميسرة.

3 بحسب توثيق هيومن رايتس ووتش، فإن أعمال القتل والاعتقالات التي ارتكبت أثناء احتجاجات الفترة من 24 إلى 29 أيلول/ سبتمبر، شهدت مقتل 170 شخصاً رمياً بالرصاص كان أغلبهم من الشباب. كما اعتُقل أكثر من 800 ناشط، انظر: هيومن رايتس ووتش، وقفنا.. وفتحوا علينا النار: أعمال القتل والاعتقالات التي ارتكبتها قوات الأمن السودانية أثناء احتجاجات أيلول/ سبتمبر، 2014/4/21، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/wCNTP5>

أفضى إلى فشل في ميكانيزمات التناول المؤسسي للصراعات⁽¹³⁾، فإن المصطلح لن يتسع ليشمل فعلاً كالذي تعالجه الورقة. في حال تبني المصطلح وفقاً لـ "لا تحديده" وسيولته السابقة التي يتحول معها إلى مقولة سحرية مؤهلة لوصف النشاطات الجمعية كافة عبر الإلقاء بها جميعاً ضمن السلة ذاتها، ألا يكف عن كونه أداة تحليلية متحوّلاً إلى قيد مفاهيمي يعترض تشكل الأسئلة البحثية وسيرها؟ ألا يكون من الأنجع نظرياً الاقتراب من الشباب، في حالة كحالة الورقة، الذين أسسوا شكلاً آخر من أشكال الفعل الجمعي، والبدء بالبحث عن أطر نظرية أكثر ملاءمة؟

تحاول الورقة معالجة موضوعها انطلاقاً من المنظور الذي يقترحه آصف بيات في مؤلفه *الحياة سياسة*، حيث يعرض إطاراً مفاهيمياً بديلاً لتعقل الفعل الجمعي، يمكنه مع بعض الحذر الإيستمولوجي أن يوفر مداخل واسعة لملازمة التغيرات الحادثة على مستوى الحقل الشبابي في السودان. يرتكز الإطار الذي يقترحه بيات على مفهوم "اللاحركات الاجتماعية" الذي يشير عموماً إلى "الأفعال الجمعية لفاعلين غير جمعيين، فهم يجسدون ممارسات مشتركة لأعداد كبيرة من الناس العاديين الذين تؤدي أنشطتهم المتشابهة والمتفرقة في الآن نفسه إلى إحداث تغير اجتماعي كبير حتى وإن لم تكن هذه الممارسات موجهة بأيدولوجيا أو بقيادات معترف بها"⁽¹⁴⁾، ضمن ما يطلق عليه بيات "سياسة الشارع"، فإن الزحف الهادئ الذي يصف عملية التقدم، أو الزحف البطيء المثابر لـ "اللاحركات الاجتماعية" نحو الحيز العام، يصبح هو الشكل الرئيس لـ "الاعتراض المتكيف".

ما يجري التشديد عليه ضمن هذا الاقتراب أن عملية الزحف الهادئ ليست سياسة لتجسيد المطالب الجمعية بمعنى سياسة احتجاجية. إنها على العكس من ذلك خليط من الفعل المباشر ذي الطابع الفردي والجماعي المتحرك ضمن شرط سوسيوسياسي مرتبط مفصلياً بتسلطية الدولة وانغلاق المجال السياسي. التعبير الأساسي للزاحفين ليس سياسة الاعتراض بل "سياسة الحضور"، فـ "اللاحركات" تحدث تغييراً عبر حضورها في المجال العام، ويمكنها من دون الحاجة إلى تنظيم له قواعده البنائية، ومن دون الحاجة إلى قيادة وأيدولوجيات أن تبتدع

الحركة الاجتماعية وفقاً لتلك المقدمات هي فعل يقدم عليه فاعل جمعي ضد السلطة أو ضد فاعل آخر، ويدور حول قضية ما محددة. قد يأخذ نموذجاً نوعياً أو عنيقاً، وفي الحالتين فإن ما يميزها كفعل اعتراض هو كسر الروتين اليومي في الحياة العامة، إن بالتظاهر أو العصيان أو الاعتصام⁽⁹⁾. وهو ما يؤكد آصف بيات، إذ رأى أن "الحركات الاجتماعية تهتم على نحو رئيس بـ 'سياسة الاعتراض'، وبالممارسات السياسية النضالية المستمرة التي يقوم فيها الفاعلون الجمعيون بممارسة ضغط على السلطات لتحقيق مطالبهم"⁽¹⁰⁾.

إن ما يجمع حركة أيار/ مايو 1968 في أوروبا مع حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة، وحركة التضامن في بولندا، والحركة المصرية من أجل التغيير "كفاية"، وحركة 6 أبريل في مصر، وحركة 20 فبراير، وحملة الشهادات المعطلين في المغرب، وحركة السكان الأصليين في بوليفيا، وجمعيات دفن الموتى في زيمبابوي، وحركة "قرفنا"، والحركات النوبية المقاومة للسود، هو الاعتراض على خصم ما. وسواء أكان الاعتراض عنيقاً أم سلمياً، وسواء تمثل المطلب في الاستيعاب ضمن وظائف القطاع العمومي كما في الحالة المغربية، أو ضمان حقوق جماعة إثنية كما في حالي بوليفيا والحراك النوبي في السودان، أو تصاعد ليصل إلى إسقاط النظام كما في الحالة المصرية وغيرها، فإن المطالبة، مع الاختلاف في الأشكال النضالية التي اتبعت في ملاحقتها، تبدو هي ذاك المكون الذي لا يمكن ببساطة غض النظر عنه، والذي يحرم غيابها كما لاحظ بعضهم، ربيع وهبة مثلاً، أي فعل جمعي آخر من مسمى حركة اجتماعية⁽¹¹⁾.

هذا المكون هو ما تفتقده الورقة في الفعل الشبابي غير الاحتجاجي الذي تحاول الاشتغال به. السؤال مع غياب "سياسات الاحتجاج" يتركز حول إمكانية موضوعة فعل يتبع منطقاً ومساراً مختلفين ضمن جغرافيا المصطلح "حركة اجتماعية". تقترح الورقة أنه ما لم تُحدّد الحركة الاجتماعية بمصطلحات بالغة العموم، كأن تُحدّد مقاربتها مثلاً على أنها "عمليات اجتماعية تتألف من ميكانيزمات معينة عن طريقها ينخرط الفاعلون في فعل جمعي"⁽¹²⁾، أو بوصفها نسقاً اجتماعياً متوتراً نجم عن انحراف في مسار نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي،

13 محسن بوعزيزي، "فضاء الحركات الاجتماعية في المجتمعات العربية: الحالة التونسية مثلاً"، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 1 (شتاء 2008)، ص 159. أحد الأسباب التي تفاقم خشية الورقة من استخدام مصطلح حركات اجتماعية هو ذلك الذي يتولى صياغته ربيع وهبة، حينما أشار إلى أن مصطلح "حركات اجتماعية" قد اكتسب "نغمات جذابة مصاحبة، ومن ثم نجد المشاركين والمراقبين والمحللين حين يستحسنون حدّاً من أحداث العمل الجماعي الشعبي، فإنهم كثيراً ما يطلقون عليه حركة اجتماعية سواء توافرت فيها المقومات الكاملة للحركة الاجتماعية أو لم تتوافر ما يعيننا أكثر هو ضرورة التمهّل في إطلاق التسميات حتى تكتمل العناصر المستوفاة لما يمكن تسميته "الحركة الاجتماعية"، وإلا سنفرغ المصطلح من محتواه"، انظر: وهبة، "الحركات الاجتماعية"، ص 56-57.

14 بيات، ص 44.

9 فارس اشتي، "الجذور التاريخية للحركات الاحتجاجية في البلدان العربية"، في: الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي، عمرو الشوبكي (محرر)، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014)، ص 169.

10 آصف بيات، *الحياة سياسة: كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط*، ترجمة أحمد زايد، المشروع القومي للترجمة (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2014)، ص 202.

11 ربيع وهبة، "الحركات الاجتماعية: تجارب ورؤى"، في: الحركات الاحتجاجية، ص 57.

12 سيد فارس، "الحركات الاجتماعية وممارسة التأطير: مقارنة أنثروبولوجية"، عالم الفكر، العدد 170 (تشرين الأول/ أكتوبر - كانون الأول/ ديسمبر 2016)، ص 159.

ليتجاوز المثات. اللحظة المفصلية في تطور المجموعة، الاحركة في منظور الورقة، كانت هي إنشاء صفحة باسمها على "فيسبوك". وبحسب أحمد إدريس الصيني أحد مؤسسي المجموعة، فإن "البداية الفعلية للمبادرة كانت إنشاء تلك الصفحة في 28 آب/ أغسطس 2012"، والتي يعدها "أولاد الشارع" تاريخ ميلاد مبادرتهم⁽¹⁸⁾. في عام 2012 ظلت المبادرة تنشط في حدود مستشفى واحد فقط هو مستشفى "جعفر بن عوف" للأطفال. ومع التفاعل المدهش الذي أنتجته الصفحة لم ينته عام 2013 إلا والمجموعة قد نشطت في ثلاثة مستشفيات في الخرطوم، ذلك قبل أن تتأسس إحدى عشرة مبادرة مماثلة في مدن مختلفة.

”

تمثل هذه السمة قاسماً مشتركاً للفعل الشبابي في السودان على اختلاف تجلياته؛ إذ انطلقت كلها من الفضاءات الافتراضية التي تعمل كنوع من المتخيلات الاجتماعية، التي تمكّن أشخاصاً لم يلتقوا مسبقاً من أن ينخرطوا في مناقشة الشأن العمومي، وأن يكونوا قادرين على التوصل إلى تصورات مشتركة

”

تمثل هذه السمة قاسماً مشتركاً للفعل الشبابي في السودان على اختلاف تجلياته؛ إذ انطلقت كلها من الفضاءات الافتراضية⁽¹⁹⁾ التي تعمل كنوع من المتخيلات الاجتماعية، التي تمكّن أشخاصاً لم يلتقوا مسبقاً من أن ينخرطوا في مناقشة الشأن العمومي، وأن يكونوا قادرين على التوصل إلى تصورات مشتركة. إنه نوع من إنشاء مجال عام افتراضي يمكن الجميع، من الوجهة النظرية، من مناقشة ما يمكن فعله في المجال العام الواقعي⁽²⁰⁾.

في عام 2013 بلغت حصيلة التدخلات 5181 حالة مرضية، وبلغ حجم التبرعات التي حصلت عليها المجموعة وأعدت إنفاقها أكثر

معايير اجتماعية وشفرات ثقافية جديدة. إن "فن الحضور هو اللحظة الأساسية في حياة الاحركات أي في الحياة بوصفها سياسة"⁽¹⁵⁾، يمكنها، أي الاحركات، أن تنتج مستقبلاً سياساتها النضالية المستمرة كما يمكنها التحول إلى حركات تنازعية، غير أن تأثيرها التحولي لن ينتظر تلك اللحظات، فهي تنتج تأثيرها من خلال حضورها ذاته. نضالاتها المتكيفة ليست نضالات دفاعية ولكنها، كما ينبه بيات، نوع من الزحف التراكمي الذي يحاول عبره الفاعلون باستمرار توسعة الحيز الذي يشغلونه، عن طريق كسب مواقع جديدة للتحرك فيها⁽¹⁶⁾.

في القراءة التحليلية التي تتجه الورقة إلى إنجازها يبدو الفعل الشبابي في لحظته الراهنة وفي تعبيراته غير التنازعية متوافقاً مع ما سمّاه بيات "الاعتراض المتكيف"، أو ما أطلق عليه جيمس سكوت "المقاومة اليومية"⁽¹⁷⁾، تلك التي لا يتعايش من خلالها المسيطر عليهم مع تجاوزات المسيطرين فقط، بل ينتزعون الحق في الوجود والبقاء ضمن المجال العام. سيكون السؤال الذي على الورقة مواجهته لاحقاً هو محاولة تفحص الرهانات الكامنة وراء تحول الشباب إلى هذا الشكل من الاعتراض/ المقاومة، ومبررات تحولهم إلى خطاب يعلن العثور على نقطة ارتكازه بعيداً عن السياسي.

في حكاية شارع الحوادث

بدأت الحكاية في فصلها التأسيسي عام 2012 باجتماع ناشطين منضوين تحت مبادرتين مستقلتين، تعمل إحداهما في أوساط الأطفال المصابين بالسرطان، في حين نشطت الأخرى مع أطفال الفشل الكلوي. وبينما انحصرت تدخلات المجموعات السابقة في الترفيه عن الأطفال المرضى، فإن التدخلات اللاحقة ستتخذ أبعاداً أكثر جذرية وستمتد لتغطي كل فئات الأطفال.

تجاوز عدد مؤسسي شارع الحوادث عند تأسيسها عدد أصابع اليد الواحدة بقليل، لكن عدد ناشطيه وناشطاتها قفز في نهاية عام 2013

15 المرجع نفسه، ص 67.

16 المرجع نفسه، ص 122.

17 تحاول الورقة توظيف فكرة "المقاومة اليومية" التي طورها جيمس سكوت في مؤلفه المقاومة بالحيلة: كيف يهزم المحكوم من وراء ظهر الحاكم الصادر في ترجمته العربية عام 1995، وهي تموضع ضمن ما كان سكوت قد أطلق عليه "السياسة التحتية" للجماعات الخاضعة، موضحاً أن المصطلح يغطي "تنويعاً عريضة من أشكال المقاومة تحتية السمات، التي لا تجرؤ على الإعلان بوضوح عن ماهيتها". ضمن أطروحته يميز سكوت بين مستويين من خطاب الخاضعين، كما أولئك المهيمين، هما الخطاب العلني وهو خطاب الخضوع الملقى في حضور المهيم، والخطاب المستتر الذي يدور خارج إطار خشية المسرح، أي فيما وراء الرقابة المباشرة التي يمارسها أصحاب السلطة، انظر: جيمس سكوت، المقاومة بالحيلة: كيف يهزم المحكوم من وراء ظهر الحاكم، ترجمة إبراهيم العريس ومخايل خوري (بيروت: دار الساق، 1995)، ص 17، 36.

18 لمشاهدة مقابلة مع أحمد إدريس، انظر: "حوار حول مبادرة شارع الحوادث"، برنامج "شارع الأمل"، قناة الشروق، 2014/3/14، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/rtpAUW>

19 Gada Kadoda & Sondra Hale, "Contemporary Youth Movements and the Role of Social Media in Sudan," *Canadian Journal of African Studies*, vol. 49 (August 2015), accessed on 18/3/2018, at: <https://goo.gl/jVRi6Z>

20 حول مفهوم المجال العام راجع: تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة الحارث النبهان (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 103-110.

في عام 2013 سعى "شباب الشارع" لتوفير عربة إسعاف لمواجهة عجز كثير من أسر الأطفال عن سداد تكلفة الإسعاف. ثمة منحى جديد تود الورقة الإشارة إليه، فمشروع الإسعاف كان التجربة الأولى لمشاريع مشتركة بين المجموعات الفاعلة في الحقل الشبابي؛ إذ جاء المشروع نتيجة تعاون "شارع الحوادث" مع مجموعة شبابية أخرى هي مجموعة "صدقات"، على أساس أن تتكفل الأخيرة بأجور الكادر العامل على الإسعاف.

بعد تلك المرحلة صوّب "الشارع" نظره تجاه مشروعات أكبر وأكثر تكلفة. بدأ التفكير في مشروع "غرفة العناية المكثفة" في مستشفى محمد الأمين حامد للأطفال في أم درمان، أو ما أطلق عليه الشباب "حلم مشروع"، والذي اكتمل في أيار/ مايو 2015، موفراً سبعة أسرّة في غرفة للعناية الفائقة، بتكلفة تجاوزت الـ 2000000 جنيهه سوداني. أتت 76 في المئة من التبرعات لمصلحة المشروع من أفراد داخل السودان، في حين أتت 16 في المئة من مؤسسات سودانية، وتكفل السودانيون في الخارج بالـ 8 في المئة المتبقية من التكلفة الكلية للمشروع. ثمة ملمح واحد ظل ثابتاً خلال تطور المجموعة وتوسع تدخلاتها، وهو حرصها على إدارة نشاطها من "الشارع"، حيث سيظل مقرها الرئيس في الخرطوم هو "بنابر"؛ مقاعد منخفضة لا ترتفع كثيراً عن الأرض، سيدة الشاي "أم قسمة" التي تولّت في أيار/ مايو 2015 قص الشريط إيذاناً بافتتاح غرفة العناية المكثفة.

نحن هنا إزاء أحد تجليات ما كان آصف بيات قد وصفه بـ "الزحف الهادئ"، ذاك المرتبط بفعل جمعي متسلسل المراحل متمثلاً في صور من التدخلات المفتوحة والعابرة، من دون وجود تنظيم بنائي أو قيادة واضحة. إن أفعال الفاعلين، إذا شئنا التفكير تبعاً لمنطق بورديو، تبدو "مسكونة بنوع من الغاية الموضوعية من دون أن تكون نتاج مشروع أو تصميم"⁽²³⁾. الخبرات التي يحصل عليها "الزاحفون" هي التي تصوغ وتعيد صياغة - كما توسع باستمرار - حيز الممكن والمحتمل.

الفروق بين ديناميات الحركات الاجتماعية والسيرورات التي تعمل وفقاً لمنطقها للتحركات الشبابية في السودان، يمكن العثور عليها أيضاً في غمط العلاقة الذي يحكم "الشوارع المختلفة". فعلى الرغم من أنها تبدو متشظية وأنّ كلاً منها يسلك مسلكاً منفرداً، فإنها جميعاً تبدو متشابهة. ليس ثمة أطر لتقييد الشوارع كبنية جمعية، وبحسب مؤسسي الشارع ف "كل شارع حوادث له خصوصيته؛ لأن

من 709000 جنيهه سوداني. تطورت في العام ذاته آليات عمل المجموعة التي ستظل تحكم اشتغالها اللاحق، إذ ستعتمد إلى تأسيس لجنتها التسييرية ومكاتبها الثلاثة، المالية والإعلام والمناوبات؛ مركزاً على الوجود الدائم لمتطوعيها في الشارع؛ بحيث ينقسم المتطوعون إلى ثلاث مناوبات يومية، يبدأ عمل الأولى في العاشرة صباحاً ويستمر حتى الخامسة مساءً، تليها مناوبة تستمر حتى العاشرة مساءً، ثم المناوبة الأخيرة التي تستمر حتى صباح اليوم التالي.

يبدأ التدخل في حالة ما يتلقّى اتصال من أحد الأطباء بأفراد المجموعة المناوبين قبالة المستشفى بشأن الحالات التي لا يستطيع الوالدان فيها توفير تكلفة العلاج، ليتكفل متطوعو "الشارع" بمراجعة الصيدلية أو مختبر الفحوصات أو مركز التصوير بالأشعة بحسب ما يحدده الطبيب. بعد تحديد قيمة الوصفة الدوائية أو الإجراءات المخبرية، يتم الإعلان عن الحالة وقيمة التبرع المطلوب على صفحة "الشارع" في "فيسبوك". بعد تلقي التبرع سواء بحضور المتبرع شخصياً - وهو ما يفضلها الشباب على أساس أنه سيمنح المسألة استمرارية - مبتعداً عن كونها انفعالاً لحظياً بحالة محددة⁽²¹⁾، أو بتحويل تبرعه عبر الهاتف. وفي الحالات العاجلة يلجأ الشباب إلى صيدليات أو مختبرات تتعامل معهم على أساس السداد الآجل. في الأخير يتم الإعلان عبر الصفحة عن النجاح في التعامل مع الحالة، ويتم في نهاية اليوم نشر تقرير يوضح وضع الحالات اليومية وإذا ما تمت تغطية الحاجة أو لم يتم ذلك بعد.

سيكون التدخل الأول خارج إطار التعامل مع حالات مباشرة - ما يطلق عليه الشباب الاحتياج اليومي - هو توفير شباب الشارع جهاز تنفس صناعي للأطفال، لم يكن متوافراً في مستشفى جعفر بن عوف الذي يُعدّ مستشفى الأطفال العمومي الرئيس في الخرطوم. يروي أحد مؤسسي المبادرة قصة تحولهم إلى تدخلات تتجاوز اليومي والمباشر: "أحد الآباء عندما قرر الأطباء احتياج طفله إلى جهاز تنفس صناعي قرر إعادة طفله إلى البيت ليموت هناك؛ لأنه لم يكن ببساطة قادراً على توفير مبلغ 3500 جنيهه سوداني، وهي القيمة التي يفترض سدادها في أحد مستشفيات القطاع الخاص عن اليوم الواحد. فعدم وجود الجهاز كان السبب وراء موت من ثلاثة إلى أربعة أطفال شهرياً في المستشفى، وتلك الحادثة كانت بداية التفكير في وجود احتياجات أكبر من الأدوية والفحوصات، وكان أن نجحنا في توفير جهاز واحد بقيمة 85000 لمستشفى تحتاج إلى ثمانية أجهزة"⁽²²⁾.

21 "المبادرات الطوعية وأدوارها في المجتمع"، برنامج "حتى تكتمل الصورة"، قناة S24، 2015/5/25، شوهد في 18/3/2018، في: <https://goo.gl/Rzbpdd>

22 "حوار حول مبادرة شارع الحوادث".

23 ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة الزهرة إبراهيم (دمشق: النايا للدراسات والنشر، 2013)، ص 54-55.

للشباب في صيغها الراهنة. يقترح الافتراض الأول بدء التحليل انطلاقاً من الزيادة الحادثة على مستوى الوزن الديموغرافي للشباب⁽²⁷⁾، بحيث كان تعداد عام 2008 قد قدر نسبة السكان بين 5 و24 عاماً بـ 47.38 في المئة، ونسبة من هم دون الـ 15 عاماً بـ 42.61 في المئة من جملة السكان، وهي الزيادة التي تزامنت مع تحسن نسبي في مستويات التعليم. ففي الوقت الذي كانت فيه النسبة العامة هي 51 في المئة، فإن 61 في المئة في الفئة العمرية 5-24 عاماً قادرون على القراءة والكتابة⁽²⁸⁾.

الفرضية السابقة باستغراقها في الديموغرافيا، ونسجها خيوط تمهيد بين الشباب معطى بيولوجياً والشباب معطى اجتماعياً، لن تكون قادرة، في نظر الورقة، على تفسير فعلهم الجمعي وتحولاته؛ لأنها ببساطة غير قادرة على الإمساك بالمتغيرات التي حولتهم من فئة عمرية إلى فئة اجتماعية، وهي اللحظة التي يتحولون معها إلى كائنات قادرة على اكتساب وعي ذاتي وعلى إظهار هذا الوعي، فهي لحظة إدراك ذواتهم المبعثرة كـ "ذات فاعلة موحدة أو على الأقل النضال كي تكون كذلك، كي تعرف نفسها ويعرفها الآخرون بهذه الصفة"⁽²⁹⁾.

الفرق بين المستويين كان قد دفع ببيير بورديو إلى عدّ "الشباب مجرد كلمة"، وهو ما يعني أن الفئات العمرية هي نتاج يتطور ويتخذ أشكالاً مرتبطة بالسياقات الاجتماعية المتحولة، تتحدد وفق "الرساميل" التي يحوزها مالكوها. وبحسب هذا المنظور، لا وجود لـ "الشباب" بصيغة التجريد، ما دامت هذه الوضعية نتاجاً متغيراً تسهم في تكوينه أنواع رأس المال والرهانات التي تحكم نظم اشتغاله. إن التراكم/التناقض الذي تعرفه تلك الرساميل باختلافها وتعددتها هو الذي من شأنه رسم معالم الشباب وتحديد بوضفه مفهوماً جمعياً⁽³⁰⁾. هكذا فإن ما لن تكون تلك الفرضية قادرة على تزويدنا به هو إرهاسات تلك اللحظة ومحصلاتها.

يلجأ اقتراب ثانياً، يلتقي عنده محللو الظاهرة وفاعلوها على حد سواء، في تفسيره الفعل الجمعي للشباب إلى التركيز على استمرارية الفعل، معيماً غرس فعل كالذي تقوم به "شارع الحوادث" ضمن تاريخ التعاضد التقليدي. وفقاً لوجهة النظر هذه فإن الظاهرة ظلت

كل منطقة لها ثقافتها وسياقاتها الخاصة، إذا جرى تحويل حالة من أحد الشوارع الولائية إلى الخرطوم عندها فقط يمكن للشارع في الخرطوم أن يتدخل"⁽²⁴⁾.

”

الفروق بين ديناميات الحركات الاجتماعية والسيرورات التي تعمل وفقاً لمنطقها للحرركات الشبابية في السودان، يمكن العثور عليها أيضاً في نمط العلاقة الذي يحكم "الشوارع المختلفة". فعلى الرغم من أنها تبدو متشظية وأن كلاً منها يسلك مسلكاً منفرداً، فإنها جميعاً تبدو متشابهة

“

راهناً، عام 2017، تستقبل "شوارع الحوادث" نحو 1000 وصفة دوائية يومياً، ولديها 2000 متطوع وما يتجاوز مئة ألف متابع على صفحاتها على "فيسبوك". لقد مضت "الشوارع" أبعد بكثير مما توقعته مجموعة المؤسسين، لكنهم لا يزالون مستمرين في فرض نضالاتهم اللامؤسسية بصحبة شعارهم الذي أضحى شهيراً: "أينما وجد طفل محتاج يجب أن نوجد"⁽²⁵⁾، انطلاقاً من زوايا في الشارع، بمعناه الفيزيقي، قبالة كل مستشفى ينشطون فيه. فهم في الأخير ليسوا مؤسسة، و"ليسوا منظمة مجتمع مدني وليس لديهم حساب مصرفي، وليس لديهم اعتراف قانوني وليست لديهم رئاسة"⁽²⁶⁾. يمشون لاستكشاف فضاءات جديدة يؤكدون من خلالها حقهم في الحضور، وحقهم في أن يكونوا مرئيين ومسموعي الصوت.

في ما وراء الحكاية

أسهمت جملة عوامل في إحداث التحولات التي يختبرها الحقل الشبابي، وهي التحولات التي أنتجت بدورها مجموعة من الافتراضات الطامحة إلى إدراك المبادئ الكامنة المولدة للممارسة الجمعية

24 "حوار حول مبادرة شارع الحوادث".

25 ثمة شعارات أخرى لشارع الحوادث صيغ معظمها باللهجة الدارجة، تحول أحدها إلى أغنية الشارع، وتقول كلماتها الدارجة: "أرجوك لو سمحت. محل ما تمشي حتة وتلاقي احتياج أقيف وادي حتة"، والذي يمكن إعادة كتابته ليكون: "أينما توجهت وصادفت احتياجاً توقف لتعطي".

26 ناصف بشري، "شباب (شارع الحوادث) يبهرون أمريكا بما أنجزوه فتكتب صحيفة الكريستيان ساينس مونيتور قصة رائعة عنهم"، الراكونة، 2015/5/6، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/YE7hcv>

27 أمجد فريد (ناشط مدني وأحد قيادات مبادرة "نفي"، مقابلة شخصية، الخرطوم، 3 أيار/ مايو 2016.

28 الجهاز المركزي للإحصاء، السودان في أرقام 2008-2012، سلسلة السودان في أرقام، العدد 13 (الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، ديسمبر 2013)، ص 7-8.

29 تورين، ص 170.

30 فوزي بوخرين، "سوسولوجيا العمل الجمعي بالمغرب: ملاحظات أولية"، الاتحاد الاشتراكي، 2013/6/1، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/aDLs3H>

صورة كلية لشباب يائس من السياسي، وأزمة المشروع الذي تقوده السلطة، وأزمة البديل الذي تعجز الأحزاب المعارضة عن توفيره. وتلاحظ صحافية وناشطة سودانية، وهي واحدة من ضمن عدد ممن عبّروا عن توجهات مماثلة، أن "كل الشباب المنتمين إلى الأحزاب... بدؤوا يكفرون بمسألة الحزب أو فكرته، وبدؤوا ينشطون خارج الأطر الحزبية، حتى شباب مبادرة 'شارع الحوادث' أو 'نفير' قد يكون ضمن قياداتهم من لديهم خلفياتهم الحزبية، لكن ليس لديهم أي التزام تجاهها"⁽³⁵⁾.

”

يمكن التعمق في فهم التحولات الجارية، على صعيد الفعل الجمعي للشباب، عبر مسار تحليلي يأخذ ضمن اعتباراته ما يمكن وصفه بـ "التضخم المؤهلاتي" لدى الشباب وحالة اللاتناسب بين تطلعات حفزتها مؤهلاتهم من جهة، والفرص المتاحة أمامهم لإنجاز تلك التطلعات من جهة أخرى

”

المقدمة المركزية ضمن الاقتراب السابق أن فواتاً تاريخياً قد أصاب الأحزاب، تتأسس عليها نتيجة نأي الشباب عن الشرط الحزبي المأزوم، وتدشينهم فعلاً واعداً بالالتحام مع الجمهور. وتقر الورقة بامتلاك خط النظر السابق بعض الصحة الظاهرية، وأن قدرته التفسيرية كان من الممكن أن تكون فعالة لو كنا بصدد تفسير الحركات الاحتجاجية للشباب - حركة "قرفنا" مثلاً - التي تبدو استجابة مباشرة لسباق تبدو فيه أزمة أحزاب المعارضة وعثراتها رديفاً لأزمة حزب السلطة⁽³⁶⁾، لكنه يفقد كثيراً من تلك الفاعلية عند استخدامه، بصيغته تلك المركزة على أزمة المعارضة والمهملة لتسلطية الدولة، في محاولة فهم الانزياح عن "السياسي" وليس الحزبي، ومواجهة السؤال: لماذا انتهت مجموعات غير نضالية كـ "شارع الحوادث" وليس حركات سياسية بديلة بالصيرورة بنية حاضنة للفعل الشبابي؟

يمكن التعمق في فهم التحولات الجارية، على صعيد الفعل الجمعي للشباب، عبر مسار تحليلي يأخذ ضمن اعتباراته ما يمكن وصفه

موجودة في المجتمع وثقافته⁽³¹⁾، وهي في مظهرها الراهن امتداد إرث قديم عند المجتمعات السودانية في عون المحتاجين، عبرت عنه بابتداعها مفاهيم "أبو مرؤة"، "الفرع"، "النفير"، "عشا البياتات"، "الأجاويد"⁽³²⁾. يمكن إذًا مع هذا الاقتراح لفهم الفعل الشبابي التعامل معه كتقليد مترسخ في الثقافة وبنياتها، طالما أن المجتمع انتظم تاريخياً في أشكال جماعية وابتدع صيغاً من التضامن الاجتماعي.

الفعل الجمعي للأطر الشبابية، بقطع النظر عن الأشكال القديمة التي يتخذها، هو في قراءة الورقة فعل حديث، بمعنى أنه ليس امتداداً طبيعياً لأشكال تضامن وتعاون تقليدية. وافترض الاستمرارية يغفل، في نظر الورقة، معطى حاسماً، هو لاعمومية نظام التضامن المشتغل في تلك الأشكال التاريخية. كما أن الاختلاف الذي تحجبه فرضية التواصلية هو بين نسقين متميزين: أحدهما تقليدي تقوم فيه العلاقات على رابطة الدم والقرابة أو وحدة الانتماء إلى المجال، وتتوارى فيه ذاتية الفرد وراء سلطة الـ "نحن". وآخر حديث تقوم فيه العلاقات على التعاقد بين ذوات مستقلة⁽³³⁾. ثمة مركب جديد هنا حتى وإن جاء معبأً في زجاجات قديمة، فالأشكال القديمة يعاد تشغيلها وفقاً لديناميات مختلفة؛ بحيث تستجيب لرهانات جديدة. لقد حوّل الشباب المعاني المتصلة بـ "النفير" التقليدي وأعادوا تعريفها بحيث أضحت ممارسة يومية للمقاومة. أما إلحاح الفاعلين على تجذر فعلهم في تاريخ الجماعة فلا يعدو أن يكون إحدى مفردات خطابهم العلني.

تغير بعض التعليقات زاوية النظر والتحليل، مقترحةً أن الفعل الشبابي يتغذى بما يفترض أنه حالة من الإحباط الجمعي انتابت الشباب من أداء الأحزاب السياسية، كتوطئة لاستيعاب الفعل مثل ردة فعل لفعل/ لا فعل الأحزاب السياسية غير القادرة على استيعاب متطلبات الأجيال الصاعدة، وتفسيره في سياقاته الحضرية، تحديداً، كونه استعادة هؤلاء صوتهم الضائع الذي سبق للأحزاب مصادره⁽³⁴⁾. يختصر "شباب شارع الحوادث" ضمن هذا التفسير

31 لمشاهدة مقابلة مع طارق الأمين مؤسس مبادرة عدل المدارس، انظر "المبادرات الطوعية".

32 حول أشكال التضامن التقليدية في السودان، انظر: عبد الرحيم بلال، "العمل الطوعي في السودان"، مركز المتطوعين الشباب: مركز جسر للتطوع الشبابي، 2014/5/28، شوهد في <https://goo.gl/kHPeEce>، في: 2018/3/18.

33 كانت ميشيل كاسريل قد اعتبرت في اشتغالها بالسياق المغربي أنه "لا يمكن مقارنة الفعل الجمعي كما يمارس اليوم بالممارسات الجماعية التقليدية [...] فإذا كانت الممارسات الجماعية تتأسس على واجب أو إلزام التعاون بين أعضاء نفس الجماعة أو القبيلة الهادف إلى الحفاظ على المجموعة أو القبيلة، فعلى العكس الفعل الجمعي التزام شخصي تطوعي وحر"، انظر: بوخرين.

34 الشفيح خضر (ناشط سياسي وقيادي سابق في الحزب الشيوعي السوداني)، مقابلة شخصية، الخرطوم، 16 أيار/ مايو 2017.

35 شمائل النور، "مداخلة ضمن المبادرات الشبابية وإعادة تعريف السياسة في السودان"، مجلة الحداثة السودانية، العدد 4 (كانون الأول/ ديسمبر 2016)، ص 66.

36 حول الحركة انظر: ريم عباس، "حركة قرفنا تكمل الخمسة أعوام"، ترجمة عمرو عباس، حريات، 2014/11/9، شوهد في 2018/3/18، في: <https://bit.ly/2qSjtWP>

مولدة للممارسة إلى التناغم، يمكن استنتاج أن الفعل الشبابي هو نتاج تغييرات على مستوى نظام الاستعدادات، تستجيب بشكل غير متزامن لتحولات في البنيات الموضوعية التي تُوَطر وجودهم، وهو ما يمكن أن يشرح لماذا بدأ الفعل الجمعي للشباب في التحول متأخراً عن محدثاته في عملية ليست محض تكيف سلبية، وإنما إعادة خلق مبدعة⁽⁴³⁾.

ضمن الهايتوس المعاد تكوينه بحيث يوائم البنيات الموضوعية المتحولة⁽⁴⁴⁾، ستحصل إعادة تكييف مختلف للعمل التطوعي ليتحول معها إلى "رأسمال اجتماعي"⁽⁴⁵⁾ بديل، تؤهل حيازته لنيل القبول داخل الحقل. شارع الحوادث، ضمن هذه القراءة، هو المكان الذي يمنح الشباب الفرصة لكي يصنعوا لأنفسهم هوية. الفرد هنا يكف عن كونه فرداً متحولاً إلى جزء من مجموع فاعلين موحدين بروابط دائمة وناقعة. وهو الانتماء الذي كان من الممكن أن توفره نقابة العمل لو أنهم حصلوا على عمل، ولو أن بعضهم ممن حصل على وظيفة لم يجد نقابات مكونة على نحو قسري ومصادر قرارها تماماً لمصلحة السلطة.

الشباب وإعادة امتلاك المجال العام

إذا كانت أغلب التحليلات المشتغلة بالحركات الاجتماعية تهمل الفضاءات الفيزيقية للفعل الاحتجاجي، على أساس أن تلك الفضاءات، شوارع، ميادين، ساحات، محيط ضمني لا يطرح إشكالات تفسيرية، فإن تجاوز جغرافيا الفعل لن يكون مبرراً في سياق "لا حركات اجتماعية"، تتميز باستخدام نشط للمكان العام، بحيث يكف عن كونه فضاء تتشكل فيه صور التضامن متحولاً إلى فضاءات تحتشد بالمعاني الرمزية⁽⁴⁶⁾. الحالة التي تشتغل بشأنها الورقة اختارت لنفسها مسمى "شباب شارع الحوادث" واختصاراً "شارع الحوادث". المسمى في تأويل الورقة يؤشر منذ البداية تجاه إنشاء علاقة بين مكوناته ويطرح ارتباطاً بين الشارع، كمجال عام، والشباب.

43 المرجع نفسه، ص 50.

44 يستعمل بورديو مثال دون كيشوت ليعبر عن تلك الفجوة بين الاستعدادات والأوضاع، وأن ما سبب الارتباك الشهير لشخصية سرفانتس المنطلقة في بحثها عن عالم بائد، كان أن ممارساته لا تتناغم مع تحولات البنى الموضوعية التي تسير اشتغال محيطها الاجتماعي، راجع: شوفالبيه وشوفيري، ص 88.

45 يمثل مجموع اللقاءات والتفاعلات والعلاقات والمعارف والصدقات التي تمح حازتها قدرًا معيّنًا من المكانة الاجتماعية، وسلطة الفعل وردة الفعل الملائم، بفضل كم هذه العلاقات والروابط وكيفيةها أو نوعيتها، أو بعبارة أخرى مجموع الموارد الفعلية أو الكامنة التي ترتبط بحيازة شبكة دائمة ومستمرة من العلاقات شبه المؤسساتية من التعارف والاعترافات المتبادلة.

46 بيات، ص 42.

بـ "التضخم المؤهلاتي" لدى الشباب وحالة اللاتناسب بين تطلعات حفزتها مؤهلاتهم من جهة، والفرص المتاحة أمامهم لإنجاز تلك التطلعات من جهة أخرى. بالتوازي مع تزايد أعداد حائزي الشهادات الجامعية، كانت القيمة الفعلية لتلك الشهادات تتناقص؛ إذ تخبرنا إحصاءات عام 2011 قبل انفصال جنوب السودان، أن نسبة البطالة في الفئة العمرية 25-29 عامًا بلغت 37.7 في المئة⁽³⁷⁾. وهي النسبة التي تصبح زيادتها أمرًا متوقعًا مع انفصال جنوب السودان في تموز/ يوليو 2011، وخسارة السودان 75 في المئة من إنتاجه النفطي، و55 في المئة من عائداته المالية، ونحو ثلثي عائدات النقد الأجنبي⁽³⁸⁾. حتى مع عائدات النفط العالية التي تميز بها الاقتصاد قبل الانفصال، كان قد أنتهج مسار غير مستدام للتنمية، في ظل اقتصاد موجه نحو الاستهلاك والواردات بدلاً من الإنتاج والصادرات، وكانت النتيجة تأكل جزء كبير من ثروة البلاد، من دون التمكن من تحويل احتياطات النفط إلى استثمارات عامة في رأس المال البشري والاجتماعي والبنية التحتية⁽³⁹⁾.

إذا كان الحقل هو "سوق لرساميل نوعية"⁽⁴⁰⁾، فسكنون مع انخفاض قيمة الشهادات إزاء تدهور حاد في رأس المال الثقافي⁽⁴¹⁾ الذي يحوزه الشباب، ويفترض أن يؤمّن الاعتراف لهم داخل الفضاء الاجتماعي. إن اضمحلال رأس المال المفضي إلى تغيير أنساق المواقع الاجتماعية سيطلق سلسلة تغيرات كّف معها "الحقل" و"الهايتوس"، المتواشج مفاهيميًا وإمبيريقياً مع الحقل⁽⁴²⁾، عن كونهما متناغمين. باستصحاب فكرة أن الاستعدادات لا تتغير بالواتر نفسها التي يتغير بها الحقل، وأن لديها نوعًا من الاستقلال الذاتي بالنسبة إلى التحديدات الفورية (ما يصفه بورديو بالتخلفية أو انزياح الاستعدادات بالنسبة إلى الأوضاع التي تصادفها). ووفقًا لميل الحقل والهايتوس كبنية

37 Republic of the Sudan, Ministry of Human Resources and Labour, *Methodology of Labour Force Survey and Main Results*, UNDP Sudan, p. 19, accessed on 18/3/2018, at: <https://goo.gl/1C59si>

38 منظمة العمل الدولية، خارطة الطريق: نحو سياسة وطنية للتشغيل في السودان (كانون الثاني/يناير 2014)، ص 11، شوهد في 18/3/2018، في: <https://goo.gl/ThB3g0>

39 المرجع نفسه، ص 11.

40 كارل ماتون، مفهوم الهايتوس عند بيير بورديو، ترجمة طارق عثمان، سلسلة أوراق نماء (الرياض: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016)، ص 148.

41 هو مجموعة المعارف والقدرات والمهارات النظرية والعملية في إطار ثقافة معينة، ويتألف من الشهادات الدراسية والألقاب الثقافية، والتي تخول لمالكها مراكز ووضعية تتحدد بحجمها ونوعها.

42 الهايتوس والحقل بنيتان متعلقتان، أي إن كلّ منهما يبين الآخر، ويساهم في صياغة الآخر، والأكثر أهمية أنهما يتطوران طوال الوقت، ومن ثم فالعلاقة بينهما جارية ودينامية، ليست ساكنة وإنما قيد التطور دومًا؛ لأنهما وإن كانا يمثلان المنطق الاجتماعي نفسه فهما ليسا متطابقين تمامًا، لأن لكل منهما منطقة الداخلي الخاص وتاريخه الخاص، راجع: ماتون، ص 39-40.

أو بوصفها جزءاً من المجموعة على النحو الذي اقترحه أحد متطوعي شارع الحوادث: "اختيار أم قسمة لقص الشريط ليس وليد الصدفة، بل تم اختيارها منذ كان مشروع الغرفة حلاً ليراود الشباب، حيث قرروا في أول اجتماع للمشروع تم في بنابرها أنه إذا اكتمل المشروع فإن أم قسمة هي من ستقص الشريط، وكان عبارة عن وعد وفينا به عند اكتمال المشروع"⁽⁵⁰⁾.

”
الفعل التطوعي المنظور إليه في قراءة الورقة كفعل مقاومة يومية عبر حضوره الدائم في الشارع العمومي وتقديمه فرجة علنية مباشرة تتوسع معها دائرة المقاومة اليومية خارج الدوائر المباشرة، هو محاولة افتكك للمجال العام الخاضع للسلطة من جهة، والمهدد بالابتلاع من القطاع الخاص من جهة أخرى

يمكّن الجدل الذي ثار بعد افتتاح الغرفة من توضيح أن فعل الشباب واختياراتهم لا يمكن إلا أن تكون مقروءة في ضوء ما أوضحته الورقة. تشير الورقة هنا إلى الجدل الذي افتتحه الهندي عز الدين أحد رؤساء تحرير الصحف اليومية، عندما شن في عموده اليومي في الجريدة هجوماً تركز على واقعة الافتتاح بالذات، معنوناً عموده الأول بـ "عندما تصبح ست [سيدة] الشاي وزيرة صحة فقط لأغراض هذا الاحتفال". بالنسبة إلى رئيس التحرير ذاك، فإن الواقعة "تهدد بنسف أي فكرة لمشروع تراتبية محترمة في السودان... إن الأمة التي تضع ست شاي مكان وزير الصحة لا يمكنها أن تتقدم شبراً إلى الأمام"⁽⁵¹⁾. في مقالة أخرى يقرر أن نقده الواقعة يأتي في سياق حملة ضد "بعثرة الأمة السودانية"؛ أملاً في "دولة محترمة تراعي التراتبية في كل شيء لا تتجاوز فيها للمقامات والمسؤوليات والاختصاص"⁽⁵²⁾.

تشاطر الورقة ما ذهب إليه عطا البطحاني، عندما لاحظ أن المنطق المستخدم يستدعي إلى الذاكرة الهجوم الذي شنته جريدة الحضارة

50 خضر مسعود، "حكاية 'روية دزبون'، اليوم التالي، 2015/5/19، شوهد في <https://goo.gl/tKUVsy>، في: 2018/3/18

51 الهندي عز الدين، "عندما تصبح ست الشاي) وزيرة صحة فقط لأغراض هذا الاحتفال!!"، المجهري السياسي، 2015/5/19، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/86PWLP>

52 الهندي عز الدين، "العبيثيون المتحدون: مسلمات الاحتماء بـ 'ستات الشاي'!!"، المجهري السياسي، 2015/5/21، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/dmU72H>

شارع الحوادث، بمعناه الفيزيقي، الواقع في قلب الخرطوم والممتد نحو كيلومتر واحد، يكثف، في نظر الورقة، الضمور الذي لحق المجال العام؛ فهو الشارع الواقع بين مستشفى عمومي بات عرضة للتخلي عنه من قبل دولة مسنودة برؤية نيولبرالية ومظاهر دينية، ومجموعة من المشافي الخاصة في الجانب الآخر للشارع تعلن لوحاتها المضئية سيطرة رمزية على معظم المجال واستعداداً للسطو على ما تبقى.

إذا كان الشارع "خشبة مسرح يظهر ويستعرض عليها الفاعلون الاجتماعيون أنفسهم وقدراتهم ويؤدون عليها ومن خلالها أدوارهم حسب مواقفهم الاجتماعية"⁽⁴⁷⁾، فإن الفعل التطوعي المنظور إليه في قراءة الورقة كفعل مقاومة يومية عبر حضوره الدائم في الشارع العمومي وتقديمه فرجة علنية مباشرة تتوسع معها دائرة المقاومة اليومية خارج الدوائر المباشرة، هو محاولة افتكك للمجال العام الخاضع للسلطة من جهة، والمهدد بالابتلاع من القطاع الخاص من جهة أخرى. عبر وجودهم المستمر في الشارع وابتداعهم استعمالاً جديداً للشارع انطلاقاً من زواياه، ورفضهم العمل من داخل مكاتب مغلقة تتوقف معها الفرحة العلنية وعبر فعالية فوق موضعية هي نتاج فعلهم المشترك؛ فإن الشباب يؤكدون أن الشارع لم يعد حكراً على السلطة أو القطاع غير العمومي، معيدين بذلك بعث فضاء عام ما فوق موضعي⁽⁴⁸⁾.

ضمن سياسة الشارع الهادفة إلى إعادة امتلاك مجال عام تشاركي وغير تراتبي، يمكن الورقة أن تفهم رمزية قيام أم قسمة بافتتاح غرفة العناية المكتفة، وهي الرمزية التي ستستعاد في شارع الحوادث عطربة، عندما أوكلوا إلى صلاح عبده توفيق العامل في مخازن السكة الحديد افتتاح غرفة للأطفال حديثي الولادة⁽⁴⁹⁾. فاختيار أم قسمة، وهي بائعة الشاي العاملة في الشارع، يكشف عن مستويات متعددة من التوجهات يعيد "الشباب" هندسة المجال العام وفقاً لها، كما تكشف أنهم لا يقدمون أنفسهم فقط بوصفهم فاعلين في المجال العام، بل يقدمون خالتهم أم قسمة وعمهم صلاح عبده وما يرمزان إليه.

تتجاوز المسألة ما مضى إليه خطاب الشباب العلني في تبرير اختيار أم قسمة، بوصفه نوعاً من الوفاء لشخص كان بجانبهم منذ التأسيس،

47 نوري دريس، "استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية"، رسالة ماجستير، جامعة محمد منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 56؛ حول العلاقة بين الفعل الجمعي واستعمالات المجال العام، انظر أيضاً: سارة معمري، "المجال العام المفتوح ووظيفته في عملية المظاهرة"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015.

48 يدعو تشارلز تايلر الفضاء العام الذي ينشأ نتيجة اجتماع الناس في موضع ما باسم "الفضاء العام الموضوعي"، لكن المجال العام يتجاوز هذه الفضاءات الموضوعية ويعلو فوقها، فهو يربط معاً جملة من هذه الفضاءات ضمن فضاء واحد كبير لا يقوم على اجتماع الناس مكانياً، راجع: تايلر، ص 106.

49 الزين عثمان، "هنا العيون معلقة بأقدام العم صلاح"، اليوم التالي، 2016/9/5، شوهد في 2018/3/18، في: <https://goo.gl/WGqFtX>

يخرج بها (أي بالسياسة) من الزمن الممتد إلى الفعل اليومي، وينتقل فيها المعنى من عوالم مفارقة ليقطن الأشياء ويسكن الكلمات، ويجري معها الانتقال من المحكيات العامة إلى قضايا محددة ترتبط بالشارع وهو واجسه وقضاياه. لقد قاموا بوضع حجر الأساس في مسرح جديد للسياسة يُبنى على أنقاض المسرح الرسمي المتصدع، يمكن أن يُكتفى فيه مستقبلاً بأداء عروض مستوحاة من الخطاب العلني، وقد يتمكن خطابهم المستتر في لحظة ما من القفز إلى الخشبة والإعلان عن نفسه في وضوح.

ربما لا تكون الورقة قادرة في اشتغالها الراهن على الحكم في مستقبل تدفقات الفعل الشبابي، لكنها مطمئنة إلى أنه إذا كانت ثمّة فترة زمنية يتكثف فيها البحث عن المختلف خارج المؤتلف، فإن ما نعايشه هو محاولة القادمين الجدد للدفع بـ "السياسي"، بمعناه الذي اختبره سودان ما بعد 1956 نحو مثواه الأخير، وإلى أن الشباب سيستمرون في الأثناء - على قول شعري لمحمود درويش - في فعل ما يفعل السجناء، وما يفعل العاطلون عن العمل، وسيستمرون في تربية الأمل؛ فهم في الأخير ينشطون ضمن "حالة حصار".

المراجع

العربية

بورديو، بيير. التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول. ترجمة درويش الحلوجي. دمشق: دار كنعان، 2004.

بوعزيزي، محسن. "فضاء الحركات الاجتماعية في المجتمعات العربية: الحالة التونسية مثلاً". إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع. العدد 1 (شتاء 2008).

بيات، آصف. الحياة سياسة: كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط. ترجمة أحمد زايد. المشروع القومي للترجمة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2014.

تايلر، تشارلز. المتخيلات الاجتماعية الحديثة. ترجمة الحارث النبهان. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

تلي، تشارلز. الحركات الاجتماعية 1768-2004. ترجمة ربيع وهبة. المشروع القومي للترجمة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

تورين، آلان. براديجما جديدة لفهم عالم اليوم. ترجمة جورج سليمان. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011.

على جمعية اللواء الأبيض ورئيسها علي عبد اللطيف في 1924⁽⁵³⁾، عندما خاطبت الجمعية: "على الجمعية أن تدرك أن الأمة تشعر بالإساءة البالغة عندما ينبري أقل الرجال شأناً وأوضعهم مكانة بالتظاهر بأنهم يعبرون عن فكر الأمة"، قبل أن تمضي الجريدة إلى حد الدعوة إلى "اجتثاث المشاكسين من أولاد الشوارع"⁽⁵⁴⁾. لا يمكن الورقة إلا التوقف عند تماثل الخطاب، وهو التماثل الذي يصل إلى حدود تطابق المنطق الذي يقرر أن الذات المتكلمة إنما تنطق باسم الأمة. ما يقلق "كلاب الحراسة الجدد"، باستعارة تعبير بورديو في سياق نقده لتلاعب التلفزيون⁽⁵⁵⁾، هو ذاته ما أقلق من كان المتلاعبون القدامى - جريدة الحضارة - قد نصبوهم سادة الأمة، مع إدراك الورقة الاختلافات البنيوية بين حركة علي عبد اللطيف ورفاقه وشباب شارع الحوادث، في الحالتين تظل الصحف كأدوات للضبط والتحكم حاملةً قدرًا كبيراً من العنف الرمزي، مبعثه الخشية من بعث مجال عام غير خاضع للهيكلية المتوارثة يمكن من تأسيس وعي مشترك بمواطنة نشطة. للموقفين أسباب نزول واحدة هي في الحالة المعاصرة اللاتطابق الذي يجترحه الشباب بين بنيات الحقل الشبابي والبنيات الموضوعية للهيمنة على المجال العام، عبر سحب اعترافهم بالمبادئ التي باسمها تجري السيطرة عليهم. الفعل كما اختيار أم قسمة وصلاح عبده يشيران إلى بدايات التحرر من الـ "نظام" كتمثلات سوسيوثقافية، تلك التمثلات التي ظلت تحكم الممارسة السياسية لدى السودانين طوال عمر دولتهم ما بعد الكولونيالية.

ملاحظات ختامية

ضمن أي مسارات ستمضي تلك البدايات؟ هذا ما يصعب التنبؤ به من دون مجازفات كبيرة. قد تنجح السلطة في دمج فعل الشباب ضمن منطق القوة الخاص بها، كما حدث في حالة صدقات مثلاً⁽⁵⁶⁾، وقد يتمكن الشباب المسلحون بـ "فن الحضور" من تفادي ذلك، وتوسعة نطاق إمكانات فعلهم. ما يبدو واضحاً أنهم، حتى الآن، تمكنوا من تقديم طريقة جديدة لصنع سياسة من دون سياسيين،

53 البطحاني.

54 تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان، ترجمة الفاتح التجاني ومحمد علي جادين، ط 3 (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007)، ص 172.

55 بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجي (دمشق: دار كنعان، 2004).

56 يعبر أحد مسؤولي الصدقات التي تحولت إلى مؤسسة: "نحن مسجلون في العمل الطوعي، التسجيل يعني تحوّل إلى مؤسسة، لكي أتحوّل إلى مؤسسة يجب أن أتسق مع النظم العامة وأن أعمل من خلال إطار قانوني ينظم العمل، ولكي نندرج ضمن اللوائح والنظم التي تقرها وزارة الشؤون الاجتماعية، وهي قوانين دولة يجب اتباعها، احترام صدقات للقوانين واللوائح هو ما فرض تسجيل صدقات"، انظر: "المبادرات الطوعية".

ماتون، كارل. مفهوم الهايتوس عند بيير بورديو. ترجمة طارق عثمان. سلسلة أوراق نماء 97. الرياض: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016. معمري، سارة. "المجال العام المفتوح ووظيفته في عملية المظاهرة". رسالة ماجستير. جامعة الجزائر 2. الجزائر، 2015.

منظمة العمل الدولية. خارطة الطريق: نحو سياسة وطنية للتشغيل في السودان. كانون الثاني/يناير 2014. في: <https://goo.gl/jBtuNT>

نبلوك، تيم. صراع السلطة والثروة في السودان. ترجمة الفاتح التجاني ومحمد علي جادين. ط 3. الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007.

النور، شمائل. "مداخلة ضمن المبادرات الشبابية وإعادة تعريف السياسة في السودان". مجلة الحداثة السودانية. العدد 4 (كانون الأول/ ديسمبر 2016).

هيومن رايتس ووتش. وقفنا.. وفتحوا علينا النار: أعمال القتل والاعتقالات التي ارتكبتها قوات الأمن السودانية أثناء احتجاجات أيلول/سبتمبر. نيسان/أبريل 2014. في: <https://goo.gl/wCNTP5>

الأجنبية

Kadoda, Gada & Sondra Hale. "Contemporary Youth Movements and the Role of Social Media in Sudan." *Canadian Journal of African Studies*. vol. 49 (Aug. 2015).

Republic of the Sudan. Ministry of Human Resources and Labour. *Methodology of Labour Force Survey and Main Results*. at: <https://goo.gl/1C59si>

الجهاز المركزي للإحصاء. السودان في أرقام 2008-2012. سلسلة السودان في أرقام. العدد 13. الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، 2013.

الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي. تحرير عمرو الشوبكي. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014.

دريس، نوري. "استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية". رسالة ماجستير. جامعة محمد منتوري. قسنطينة الجزائر، 2007.

رئاسة مجلس الوزراء. الجهاز المركزي للإحصاء. السودان في أرقام 2008-2012. في: <https://goo.gl/2uswJC>

سكوت، جيمس. المقاومة بالحيلة: كيف يهزم المحكوم من وراء ظهر الحاكم. ترجمة إبراهيم العريس ومخايل خوري. بيروت: دار الساقى، 1995.

شوفالييه، ستيفان وكريستيان شوفيري. معجم بورديو. ترجمة الزهرة إبراهيم. دمشق: النايا للدراسات والنشر، 2013.

غدنز، أنتوني. علم الاجتماع. ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.

فارس، سيد. "الحركات الاجتماعية وممارسة التأطير: مقارنة أنثروبولوجية". *عالم الفكر*. العدد 170 (تشرين الأول/أكتوبر - كانون الأول/ديسمبر 2016).

لصاوت، ددييه وحميدة حمومي. "نظرية الحركات الاجتماعية: هياكل وأفعال وتنظيمات: تحليل الاحتجاج الاستشراقي". *إنسانيات*. العدد 8 (1999). في: <https://goo.gl/UxaHni>